

ابن النجار ومنهجه في كتابة تاريخ المدينة من خلال كتابه الدرة الثمينة في أخبار المدينة

د/ وائل أحمد إبراهيم إبراهيم

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم – مصر

ملخص البحث

اهتم المؤرخون المسلمون منذ فترة تاريخية مبكرة بالتأريخ المحلي للمدن والحواضر الإسلامية اهتماما يوازي ما كان لتلك المدن والحواضر من أهمية سياسية واقتصادية ودينية، وكان من الطبيعي أن يهتم كثير من هؤلاء المؤرخين بكتابة تاريخ المدينة المنورة لارتباطها الوثيق بسيرة النبي ﷺ، حيث كانت دار هجرته ومستقر إقامته بعد أن طرده قومه من بلده مكة المباركة، وشاء الله تعالى أن تكون المدينة هي الحصن الأمين للإسلام ومقر تأسيس الدولة الإسلامية الأولى التي عنيت بنشر الدعوة الإسلامية إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وغيرها من البلاد المحيطة.

ومن بين المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ المدينة المنورة الإمام الحافظ محمد بن محمود ابن النجار البغدادي (٥٧٨ - ٦٤٣هـ/١١٨٢-١٢٤٥م)، كان واحدا من المؤرخين والمحدثين الكبار الذين عاشوا في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وتنقل بين عدة أقطار في العالم الإسلامي في وقته، وسكن المدينة المنورة فترة من الزمن فألف كتابا عن تاريخها وفضائلها سماه "الدرة الثمينة في أخبار المدينة"، عرض فيه لتاريخ هذه البقعة المباركة وفضائلها وما فيها من رموز ومعالم جغرافية وعمرانية بدءًا من هجرة النبي ﷺ إليها ومرورا بعصر الصحابة وانتهاءً بعصر التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

ويعتبر كتاب الدرة الثمينة من الكتب المهمة التي

كتبت عن تاريخ المدينة المنورة، ففضلا عن حديث المؤلف عن موضوعات مهمة من تاريخها، فقد عُنِيَ بوصف أهم معالمها الجغرافية والعمرانية كما شاهدها بنفسه، وتحدث عن فضائل المدينة ومساجدها وفضل هذه المساجد، كما ذكر أعيان الصحابة والتابعين الذين سكنوا بها.

ويحاول هذا البحث عرض منهج الحافظ ابن النجار في كتابه عن تاريخ المدينة من خلال دراسة المباحث التالية:

- مقدمة.
- المبحث الأول: ابن النجار (حياته وجهوده).
- المبحث الثاني: عصر ابن النجار ورحلاته وأثرها في كتاباته التاريخية.
- المبحث الثالث: أهمية كتاب الدرة الثمينة ومنهج ابن النجار في كتابته.
- خاتمة: وفيها نتائج البحث.
- المصادر والمراجع.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وفصل الفرقان وأحكم البرهان وهو رب العالمين، والصلاة والسلام علي سيد الخلق وإمام المرسلين، سيدنا محمد ﷺ، أما بعد،،،

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن رسول اللهﷺ قال: "**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَينَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَو أَشَدَّ**" [١]، وفي الصحيحين من حديث علي ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: "**المَدِيْنَةُ حرمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ، فَمَنْ أحْدَثَ فِيْهَا حَدَثًا أَو آوَي مُحْدِثًا عَلَيْهِ لعْنَةُ اللّهِ والمَلائِكَةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ، لا يقْبَلُ اللّهُ منْهُ يوْمَ القِيَامَةِ صَرْفًا ولا عَدْلاً**"[٢]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "**مَنْ اسْتَطَاعَ أنْ يَمُوتَ بالمَدِيْنَةِ فليَمُتْ، فإِنَّه مَنْ مَاتَ بالمَدِينَةِ شَفَعتُ لَه يَوْمَ القِيَامَةِ**"[٣].

وهكذا اختص الله تعالى مدينة رسوله الكريم بعظيم الفضل، فجعلها دار هجرته ونصرته، ومنطلق نور الإيمان وانتشار الإسلام إلى شتى أنحاء العالم، وموضع تأسيس الدولة الإسلامية الأولى، إليها تشد الرحال لزيارة مسجده ﷺ وقبره الشريف، وفيها مسجد قباء المؤسس على التقوى، وفيها الروضة الشريفة المطهرة، وفيها جبل أحد الذي أحبه الرسولﷺ، وفيها وادي العقيق المبارك، ..... وغير ذلك من

---

(١) أخرجه البخاري في الحج، رقم (١٨٨٩)، ومسلم في الحج رقم (١٣٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة، باب حرم المدينة رقم (١٨٧٠)، ومسلم في الحج، باب فضل المدينة رقم (١٣٦٦)، وانظر كتاب الدرة الثمينة ص٥١.

(٣) صحيح ابن حبان ٩/٥٧ رقم (٣٧٤١)، والترمذي ٥/٦٧٦ رقم (٣٩١٧).

البقاع والمعالم المباركة التي اختص الله تعالى المدينة بها.

وكان من الطبيعي أن تحظى هذه البقعة الطيبة المباركة باهتمام المحدثين والمؤرخين المسلمين القدامى والمحدثين، فكتبوا عنها كثيرا، فمنهم من أفردها بالكتابة حيث ألف في شأنها كتابا أو كتبا تضم تاريخها وفضائلها ووصف معالمها وبقاعها المقدسة، ومنهم من أدمج ما كتبه عنها في مصنف كبير وذكر فضائلها في ذلك المؤلف.

ومن بين المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ المدينة المنورة الإمام الحافظ محمد بن محمود ابن النجار البغدادي (٥٧٨ - ٦٤٣هـ/١١٨٢-١٢٤٥م) الذي كانت زيارته للمدينة المنورة سببا مباشرا في تأليفه كتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة، وهو كتاب عظيم الفائدة رغم صغر حجمه قياسا بمؤلفات أخرى كتبت عن تاريخ المدينة وفضائلها.

وتحاول ورقات هذا البحث الكشف عن أهمية كتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة ومنهج ابن النجار في كتابته، وبيان موضوعاته والأسلوب الذي اتبعه المؤلف في عرضها والموارد التي استقى منها معلوماته، وذلك من خلال مباحث ثلاثة: الأول بعنوان ابن النجار (حياته وجهوده)، والثاني بعنوان: عصر ابن النجار ورحلاته وأثرها في كتاباته التاريخية، والمبحث الثالث بعنوان: أهمية كتاب الدرة الثمينة ومنهج ابن النجار في كتابته، ثم ختمت البحث بخاتمة عرضت فيها لنتائجه، ثم المصادر والمراجع التي رجعت إليها أثناء إعداده.

وإني إذ أقدم هذا البحث ليكون ضمن ورقات عمل الندوة الأولى لكرسي الأمير سلمان بن عبدالعزيز لدراسات تاريخ المدينة المنورة في الجامعة الإسلامية بعنوان «مصادر تاريخ المدينة المنورة من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري عرض وتحليل عينات»؛ فإني لا أزعم أن ما كتبته عن ابن النجار ومنهجه في كتاب الدرة الثمينة هو نهاية المطاف في هذا الموضوع، كما أن كلماتي التي كتبتها ليست بالكلمات الأولى التي كتبت عن ابن النجار وكتابه، فقد سبقني الأستاذ الدكتور الفاضل صلاح الدين شكر بكتابة كلمة طيبة عن ابن النجار وأهمية كتابه في مقدمة تحقيقه للكتاب.

وفي النهاية فإني أسأل اللّهَ تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه سبحانه، كما أسأله أن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

المبحث الأول
ابن النجار (حياته وجهوده)

اسمه ولقبه :

هو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، أبو عبد الله ابن أبي الفضل المعروف بالحافظ الكبير والملقب بمحب الدين ابن النجار البغدادي[1]، وقد ذكر الإمام الذهبي أنه كان محدث العراق ومؤرخ عصره[2].

مولده ونشأته :

ولد الحافظ ابن النجار في بغداد في الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[3]، وكان والده رجلا من العامة يعمل نجارا، حيث كان مُقَدَّم النجارين بدار الخلافة العباسية في بغداد، وعرف ابنه لذلك بابن النجار،

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق ونشر مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ، ص٢٠٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق د. بشار عواد معروف، ود. محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، جـ٢٣ص١٣١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، باعتناء س. ديد رينغ، ١٤١١هـ/١٩٩١م، جـ٥ص٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢٣ص١٣١؛ وانظر أيضا ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، جـ٧ص٣٩٢.

(٣) محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت (دون تاريخ نشر) جـ٤ص٣٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق د. عبد الله بن المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، مصر الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، جـ١٧ص٢٨٣؛ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، تعليق ونشر د. الحافظ عبد العليم خان، مطابع حيدر أباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، جـ٢ص١٥٦-١٥٧.

وتربى ابن النجار في رعاية والده الذي لم يطل به البقاء فقد توفي عاجلا في عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م ولم يكن ابن النجار قد جاوز الأعوام العشرة من عمره.

مذهبه :

عاش ابن النجار الفترة الأولى من حياته متلقيا العلم في مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ومعلوم أن هذه الخلافة كانت خلافة سنية حنفية، حيث كان المذهب الحنفي منتشرا على نطاق واسع في بغداد وما حولها من مدن العراق آنذاك، يشاركه في ذلك المذهب السني الشافعي الذي كان ابن النجار واحدا من كبار أئمته في الحفظ والتحديث آنذاك[١]، يستفاد ذلك من قيامه بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد والتزامه بوقف كتبه ومصنفاته لها[٢]، وهي إحدى المدارس النظامية[٣] التي التزمت تدريس أصول الفقه وفق المذهب الشافعي وأصول العقيدة وفق المذهب الأشعري.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣١-١٣٢؛ وراجع أيضا مقدمة التحقيق لكتاب ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار، تحقيق الدكتور قيصر أبو فرح، دار الكتاب العربي ببيروت عام ١٩٧١م، مج١٨ص "ز"؛ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية جـ٢ص١٥٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣٣؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٧ص٣٩٢-٣٩٣.

(٣) تنسب المدارس النظامية إلى مؤسسها الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي (ت/٤٨٥هـ) الذي أنشأ هذه المدارس في المدن الرئيسية من الشرق الإسلامي مثل بغداد وهراة ونيسابور وغيرها..، وكان الدراسة بها تقوم على المنهج الشافعي في الفقه والمذهب الأشعري في العقيدة، وكان الهدف من إنشائها تحقيق عدة أمور منها نشر الفكر السني والعمل على تقليص الفكر الشيعي في الشرق الإسلامي، وكذلك إيجاد طائفة من المعلمين والموظفين السنة الذين يساعدون على نشر المذهب السني ويشاركون في إدارة الدولة السلجوقية. انظر د/عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي ص١٧٩-١٨٠، دار الوفاء بالمنصورة، مصر، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

شيوخه وتلاميذه:

تلقى ابن النجار العلم على يد علماء كبار عاشوا في عصره، فقد تعلم النحو وعلوم اللغة العربية على يد جماعة من النحاة البغداديين؛ منهم أبو بكر بن المبارك بن المبارك بن أبي الأزهر سعيد بن أبي السعادات الواسطي النحوي الضرير(١)، وأبو الحسن علي بن المبارك بن بانَوَيه النحوي(٢)، وأبو البقاء عبد اللّه بن الحسين النحوي العكبري(٣)، وغيرهم.

وبرع ابن النجار في علم الحديث حيث كان أول العلوم التي سعى لتلقيها، فقد قال عنه ابن الدمياطي: كان ابن النجار "عالي الهمة في طلب الحديث"(٤)، حيث سمع الحديث وهو ابن عشر سنين، ثم طلبه بنفسه وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان ذلك في عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م(٥)، ومن شيوخه في

---

(١) كان مولده سنة ٥٣٤هـ، وتوفي سنة ٦١٢هـ، وكان ثقة، وتكلم بلغات كثيرة وله المؤلفات العديدة وكان صاحب أدب وفضل ودين. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص٨٦ -٨٨.

(٢) علي بن المبارك بن علي بن المبارك بن عبد الباقي بن بانويه أبو الحسن البغدادي المعروف بابن الزاهدة، برع في اللغة والنحو وقال الشعر، وكان حسن الأخلاق طيب الملتقى متواضعاً. ولم يحدث بشيء بل روى شيئاً من الكتب الأدبية وتصدى لإقراء العربية. وقرأ عليه ابن النجار كتاب اللمع لابن جني وسمع منه التصريف الملوكي وبعض الإيضاح، وتوفي عام ٥٩٤هـ. الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢١ باعتناء محمد الحجيري، شتوتجارت، (ط٢) ١٤١١-١٩٩١م، ص٣٩٩.

(٣) عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين العكبري، أبو البقاء بن أبي عبد الله الضرير النحوي، قرأ القرآن بالروايات وسمع الحديث وكان ثقة صدوقا، غزير الفضل، كامل الأوصاف، كثير المحفوظ، متدينا، حسن الأخلاق. ولد ببغداد في أوائل سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م، وتوفي ليلة التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ٦١٦هـ، ودفن بباب حرب في بغداد انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص٩١ -٩٣؛ ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد مجـ١٨ص١٤١ ترجمة رقم (٩٧).

(٤) ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد مجـ١٨ص٣.

(٥) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية جـ٢ص١٥٧.

الحديث الذين قرأ عليهم الشيخ أبو القاسم ذاكر بن كامل بن أبي غالب الخفاف[1]، وأبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن كليب الحراني[2]، وأبو طاهر المبارك بن المبارك بن هبة اللّه بن المعطوش العطار[3]، وقرأ على جماعة سواهم، وقد قرأ بالقراءات السبع على أبي أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن سُكَينة البغدادي[4]، وأثنى عليه ابن نقطة والدبيثي والضياء المقدسي وهم من صغار شيوخه من حيث السند[5].

---

(١) ذاكر بن كامل الخفاف البغدادي أخو المبارك، كان صالحا خيرا صواما توفي في رجب سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، نشر مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤ جـ٤ص٢٧٦؛ وراجع ما كتبه عنه ابن النجار في الدرة الثمينة (موضوع البحث) ص١٥٩.

(٢) الشيخ الجليل الأمين، مسند العصر، أبو الفرج، عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب الحراني البغدادي، ولد في صفر سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، وتوفي في ربيع الأول سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م، وكان سماعه صحيحًا وقد حدث عنه ابن النجار، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢١ص ٢٥٨.

(٣) الشيخ العالم الثقة، المعمر، أبو طاهر، المبارك بن المبارك بن هبة الله ابن المعطوش الحريمي البغدادي العطار، ولد سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، وتوفي في العاشر من جمادى الأولى سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، وكان يقظًا فطنًا، صحيح السماع. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢١ ص٤٠٠ -٤٠١.

(٤) أبو أحمد عبد الوهاب بن علي ابن سكينة الحافظ ضياء الدين عبد الوهاب ابن الأمين علي بن علي البغدادي الصوفي مسند العراق، وسكينة جدته ولد سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م، وتوفي في التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م، وقد قال عنه ابن النجار "هو شيخ العراق في الحديث والزهد والسمت وموافقة السنة كانت أوقاته محفوظة لا تمضى له ساعة إلا في تلاوة أو ذكر أو تهجد أو تسميع وكان يديم الصيام غالبا ويستعمل السنة في أموره إلى أن قال وما رأيت أكمل منه ولا أكثر عبادة ولا أحسن سمتا صحبته وقرأت عليه القراءات وكان ثقة نبيلا من أعلام الدين". راجع الذهبي: العبر في خبر من غبر جـ٥ص٢٣-٢٤.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣١؛ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية جـ٢ص١٥٧.

وقد ذكر المؤرخ العراقي ابن الفوطي (ت/٧٢٣هـ/١٣٢٣م) أن معجم مشيخة الحافظ ابن النجار وتلمذته اشتمل على ثلاثة آلاف شيخ وأربعمائة امرأة، وأنه قد عُرِضَ عليه السكنى في رباط شيخ الشيوخ ببغداد فأبى، وقال: "إني قادر على المسكن ومعي ثلاثمائة دينار، فما يحل لي أن أرتفق من وقف، فلما فتحت المدرسة المستنصرية[(١)] كان قد افتقر، فجُعِل مُشْغِلاً بها في علم الحديث"[(٢)].

ومن تلاميذ ابن النجار المؤرخ الشهير عليّ بن أنجب الساعي المعروف بابن الساعي الخازن (ت/٦٧٤هـ/١٢٧٥م) الذي ذيّل على تاريخ ابن النجار[(٣)]، وذكر شيخ الحجاز ابن عساكر "لقيته (يقصد ابن النجار) في بغداد سنة ٦٤١هـ، وأجازني رواية كتابه "أخبار المدينة"، وسمعت منه، وكتب لي بخطه ما سمعته، وناولني تاريخه الذي ذيل به تاريخ بغداد، وكتب عني فيما أظن، وسمع بقراءتي"[(٤)].

(١) تنسب هذه المدرسة إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٤م) الذي جعلها وقفا على المذاهب الفقهية الأربعة، وذلك بعد أن أدرك الخليفة أن اقتصار المدارس النظامية على تدريس مذهب فقهي واحد من هذه المذاهب (هو المذهب الشافعي) قد أوجد مجالا للصراع بين أتباع هذه المذاهب وعلمائها. انظر د/عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي ص٢٤٤.

(٢) انظر ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٢٠٥-٢٠٦ وهو يقول إن هذا الحدث كان في عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م؛ راجع أيضا: الذهبي سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣٣ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٧ ص٢٨٤.

(٣) ذكر ذلك الدكتور قيصر أبو فرح في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، مج١٨ص "ج".

(٤) د. مصطفى عمار منلا: شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة) ص١٨٩.

وقد روى ابن النجار أحاديث وآثار كتابه الدرة الثمينة في أخبار المدينة عن أكثر من خمسة وثلاثين شيخًا من شيوخه[1].

ومن تلاميذه الذين حدثوا عنه[2] أبو العباس الفاروثي[3]، وتاج الدين علي بن أحمد الغرافي[4] وأبو حامد ابن الصابوني[5]، وروى عنه بالإجازة جماعة منهم مسند الشام القاضي تقي الدين سليمان[6]، وآخرون غيره.

---

(١) د. صلاح الدين شكر: ابن النجار وكتابه الدرة الثمينة ص١٥(مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة).

(٢) راجع الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣٢.

(٣) أبو العباس الفاروثي: أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج بن أحمد بن سابور أبو العباس الواسطي الشيخ عز الدين الفاروثي، ولد بواسط في ذي القعدة سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، وقرأ القرآن على والده وسمع ببغداد من عمر بن كرم الدينوري والشيخ شهاب الدين السهروردي وغيرهم، وكان إمامًا عالمًا متفننًا متضلعًا رحالاً، توفي سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود.عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، جـ٨ص٦-٧.

(٤) شيخ الإسكندرية تاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني الغرافي نسبة إلى الغراف وهو نهر قرب واسط على قرى كثيرة، ولد سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، وكان عالمًا فاضلاً محدثًا مكثرًا مسندًا مفيدًا عابدًا، مات سنة ٧٠٤هـ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق (ط١) ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، جـ٨ص٢١.

(٥) محمد بن علي بن محمود، شيخ دار الحديث النورية، أبو حامد ابن الصابوني، ولد عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، وتوفي في منتصف ذي القعدة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، كتب العالي والنازل، وحصل الأصول، وجمع وصنف، اختلط قبل موته بسنة أو أكثر. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٧ص٦٤٣-٦٤٤.

(٦) تقي الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة المقدسي الصالحي، ولد في منتصف رجب سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، وتوفي في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م، وكان شيخًا جليلاً فقيهًا كبيرًا بهي المنظر، مواظبًا على حضور الجماعات وقيام الليل. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ٨ص٦٦-٦٧.

صفات ابن النجار وشهادة العلماء له:

تمتع الحافظ ابن النجار بكثير من الصفات الطيبة التي لا تتوفر إلا في العلماء الموسوعيين أمثاله؛ فقد قال عنه صديقه ياقوت الحموي (ت/٦٢٦هـ/١٢٢٩م): "صاحبنا الإمام محب الدين بن النجار البغدادي الحافظ، المؤرخ، الأديب، العلامة، أحد أفراد العصر الأعلام، .... كان إماما حجة، ثقة، كان حافظًا، مقرئًا، أديبًا، عارفًا بالتاريخ وعلوم الأدب، حسن الإلقاء والمحاضرات، وكان له شعر حسن، وله التصانيف المتعة"[1].

وقال ابن الفوطي (ت/٧٢٣هـ/١٣٢٣م) في حقه: "الحافظ المتقن المحتوي على فنون العلوم، حفظ أولا القرآن المجيد، وقرأ علم النحو وسمع الحديث وبرع في كتابة التاريخ، وقرأ علم الأدب"[2].

وقال عنه الإمام الذهبي (ت/٧٤٨هـ/١٣٤٨م): "ابن النجار؛ الإمام، العالم، الحافظ، البارع، محدث العراق، مؤرخ العصر"[3].

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت الطبعة الأولى ١٩٩٣م، جـ٦ص٢٦٤٤، ترجمة رقم (١١١٤).
(٢) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٢٠٥.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣١.

وقال عنه ابن الدمياطي (ت/٧٤٩هـ/١٣٤٨م): " كان حافظا متقنا، عمدة، حسن التصنيف، عالي الهمة في طلب الحديث"(١).

وقال عنه الصفدي (ت/٧٦٤هـ/١٣٦٣م): "الحافظ الكبير؛ محب الدين ابن النجار البغدادي، صاحب التاريخ، كان إمامًا، ثقة، حجة، مقرئًا، مجودًا، حسن المحاضرة، كيسًا متواضعًا"(٢).

وقال ابن كثير (ت/٧٧٤هـ/١٣٧٢م): "ابن النجار؛ الحافظ الكبير، سمع الكثير، ورحل شرقًا وغربًا، وشرع في كتابة التاريخ وعمره خمس عشرة سنة، وقرأ بنفسه على المشايخ كثيرًا"(٣).

وقال ابن العماد الحنبلي (ت/ ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): ابن النجار؛ الحافظ الكبير، ..... كتب ما لا يوصف، وكان ثقة متقنًا، واسع الحفظ، تام المعرفة بالفن "(٤).

---

(١) ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد جـ٢١ص٥.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ٥ص١٠؛ وانظر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليه جـ٤ص٣٦.

(٣) البداية والنهاية جـ١٧ص٢٨٣.

(٤) ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب جـ٧ص٣٩٢.

مؤلفات ابن النجار[1]:

ترك الحافظ ابن النجار العديد من المؤلفات العلمية في شتى المجالات، وقد أفاد منها من جاء بعده من العلماء، ومن هذه المؤلفات ما يلي:

١- التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام، وهو الكتاب المعروف باسم ذيل تاريخ بغداد، ذيّل به ابن النجار على تاريخ بغداد لابن الخطيب واستدرك عليه.
٢- القمر المنير في المسند الكبير وذكر كل صحابي وما له من الحديث
٣- المختلف والمؤتلف ذيل به على كتاب الكامل لابن ماكولا.
٤- كنز الإمام في معرفة السنن والأحكام.
٥- المتفق والمفترق.
٦- نسب المحدثين إلى الآباء والبلدان.
٧- كتاب العوالي[2].
٨- معجم الشيوخ.

(١) انظر عن هذه المؤلفات: ياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ٦ص٢٦٤٤-٢٦٤٥؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٢٠٥-٢٠٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣٠-١٣٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات جـ٥ص٩-١٠؛ الكتبي: فوات الوفيات جـ٤ص٣٧؛ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية جـ٢ص١٥٧-١٥٨؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ٧ص٣٩٣؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة السابعة ١٩٨٦م، جـ٧ص٨٦.

(٢) يسميه كل من الصفدي (الوافي بالوفيات جـ٥ص١٠) ومحمد ابن شاكر الكتبي (فوات الوفيات جـ٤ص٣٧) كتاب "عواليه".

٩- الكافي في الصلاح.
١٠- جنة الناظرين في معرفة التابعين.
١١- العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق.
١٢- الدرة الثمينة في أخبار المدينة[١].
١٣- نزهة الورى في أخبار أم القرى.
١٤- روضة الأوليا في مسجد إيليا.
١٥- الأزهار في أنواع الأشعار.
١٦- أنواع الزهر في محاسن شعر شعراء العصر.
١٧- سلوة الوحيد.
١٨- غرر الفوائد.
١٩- مناقب الإمام الشافعي.
٢٠- الكمال في معرفة الرجال.
٢١- نهج الإصابة في معرفة الصحابة[٢].
٢٢- مجموع غرر الفوائد ومنثور درر القلائد.
٢٣- نزهة الطرف في أخبار أهل الظرف.
٢٤- أخبار المشتاق إلى أخبار العشاق.
٢٥- الشافي في الطب.

(١) ورد هذا الكتاب في بعض المصادر بمسميات مختلفة، فقد سماه الذهبي "الدرر الثمينة في أخبار المدينة"، راجع سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣٣، ونشره الدكتور محمد زينهم عزب بالقاهرة سنة ١٩٩٥م تحت عنوان: "الدرة الثمينة في تاريخ المدينة"، وليس في "أخبار المدينة" كما ورد في معظم المصادر التي ذكرت مؤلفات ابن النجار، ولم يبرر الدكتور محمد زينهم عزب هذا الأمر في تحقيقه للكتاب أو في مقدمته التي كتبها عنه، كما قام بنشر الكتاب والتعليق عليه الأستاذ حسين محمد علي شكري تحت عنوان: "الدرة الثمينة في أخبار المدينة"، ونشرته دار الأرقم بن أبي الأرقم ببيروت (بدون تاريخ نشر) وهي النسخة التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

(٢) انفرد بذكره ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٧ص٢٨٣-٢٨٤.

ويتضح من هذا الكم الهائل من المصنفات مدى سعة اطلاع ابن النجار وثقافته الواسعة وتبحره في مختلف فنون العلم وضروبه، كما يبدو من أسماء مصنفاته أنه كتب في شتى فروع المعارف الإنسانية فكتب في الحديث وفي التاريخ وفي السير والتراجم وفي النحو واللغة والأدب، كما كتب في الطب وغير ذلك كما هو واضح من مصنفاته.

وفاة ابن النجار:

توفي ابن النجار في بغداد يوم الثلاثاء الموافق الخامس من شهر شعبان من عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، وله من العمر خمس وستون سنة، وصُلِّيَ عليه بالمدرسة النظامية، وشهد جنازته خلق كثير، وكان ينادَى حول جنازته: "هذا حافظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي ينفي الكذب عنه "، ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب في بغداد، ولم يترك ابن النجار وارثًا، وكانت تركته عشرين دينارًا وثياب بدنه، وأوصى أن يتصدق بها، ووقف خزانتين من الكتب بالمدرسة النظامية في بغداد تساوي ألف دينار، فأمضى ذلك الخليفة العباسي المستعصم بالله، وقد أثنى عليه الناس، ورَثَوه كثيرا(١).

---

(١) ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد مج١٨ص١؛ البداية والنهاية جـ١٧ص٢٨٤؛ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية جـ٢ص١٥٧؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ٧ص٣٩٣؛ وانظر مقدمة الناشر لكتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٢٢.

المبحث الثاني
عصر ابن النجار ورحلاته وأثرها في كتاباته التاريخية

عاش ابن النجار (٥٧٨-٦٤٣هـ/١١٨٢-١٢٤٥م) في العصر العباسي الثاني، وبلغ من العمر خمسا وستين سنة، وشهدت فترة حياته تتابع أربعة من الخلفاء العباسيين على عرش الخلافة هم:

١- أبو العباس أحمد الناصر لدين اللّٰه (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م)
٢- أبو نصر الظاهر بأمر اللّٰه محمد بن الناصر لدين اللّٰه (٦٢٢- ٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م)
٣- أبو جعفر منصور المستنصر باللّٰه بن الظاهر بأمر اللّٰه (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م)
٤- أبو أحمد عبد اللّٰه المستعصم باللّٰه بن المستنصر (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)، وقد عاصر ابن النجار ثلاث سنوات من خلافته.

وقد شهدت هذه الفترة الزمنية الكثير من الأحداث السياسية التي أثرت في الحياة العامة للدولة الإسلامية آنذاك، ففي عصر الناصر لدين اللّٰه العباسي تمكن الصليبيون من أخذ مدينة دمياط عام ٦١٤هـ/١٢١٧م[(١)]، وقويت شوكتهم على الأمة الإسلامية، وفي عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م بدأ ظهور المغول

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ، تصحيح ونشر د. محمد يوسف الدقاق، در الكتب العلمية ببيروت الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، جـ١٠ص٣٧٣-٣٧٧.

(التتار) الذين تمكنوا من إسقاط العديد من المدن الإسلامية في الشرق الإسلامي، وكان ظهورهم كما يقول ابن الأثير[1] من "الحوادث العظمى، والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها".

وقد امتدت أيدي المغول بالسلب والنهب وقتل المسلمين وتدمير مقدساتهم على مدى فترات زمنية متعددة بدأت من عهد الخليفة الناصر لدين الله، ولم تنته حتى سقطت الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول في عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م عندما دخلوا بغداد وقتلوا الخليفة العباسي المستعصم بالله[2].

وقد راح العلماء والمؤرخون المسلمون يصورون في كتبهم هذه الأوضاع السياسية السيئة التي كادت أن تودي بالدولة الإسلامية بعدما تفاقم عليها خطران عظيمان قصدا القضاء على المسلمين ومقدساتهم، يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م: "وأشرفت ديار مصر والشام على أن يملكوها [يقصد الصليبيين]، لولا لطف الله ونصره.... ومن سلم من هاتين الطائفتين [المغول والصليبيين] فالسيف بينهم مسلول، والفتنة قائمة على ساق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصرا من عنده"[3].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ١٠ص٣٩٩. حوادث سنة ٦١٧هـ

(٢) د. عبد السلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨١م، ص١٣١.

(٣) الكامل في التاريخ جـ١٠ص٤٠٠-٤٠١.

ويقول الإمام شمس الدين الذهبي في أحداث سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م مصورا سوء الأوضاع الاجتماعية أيضا: "تناقص الفناء بمصر لقلة من بقي، فكم من قرية كبيرة لم يبق بها بشر، حتى نقل بعضهم أن بلدًا كان بها أربعمائة نول للنسَّاجة لم يبق بها أحد"[١]، ثم ذكر الذهبي نقص النيل ووقوع القحط فقال: "ونقص النيل، ووقع القحط، وهلك أهل مصر، وكان ذلك من الآيات الكبار، فإن النيل كُسِر من ثلاثة عشر ذراعًا سوى ثلاثة أصابع"[٢].

ولا شك أن كل هذه الأحداث قد أثرت تأثيرا سيئا على مجريات الأحداث في الدولة الإسلامية بصفة عامة وفي مدينة بغداد التي عاش بها ابن النجار بصفة خاصة. ومن محاسن الأمور التي قدرت له أنه لم يعش حتى حادثة سقوط الخلافة العباسية وقتل الخليفة على أيدي المغول، وهي حادثة خطيرة أثرت كثيرا في فكر العلماء والشعراء الذين عاشوا في ذلك العصر تأثيرا واضحا.

لقد كانت الأوضاع السياسية في عصر ابن النجار سيئة إلى حد كبير، فلقد شهد عصره تكالب قوى الشرك والطغيان على أراضي المسلمين ومقدساتهم، فلقد هاجم الصليبيون مصر والشام وسقطت في أيديهم بعض المدن، وتمكن المغول من الزحف حتى وصلوا إلى بغداد مدمرين في طريقهم مظاهر الحضارة الإسلامية المادية والمعنوية.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص٢٢١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص١١٩ وما بعدها.

وتحولت أوضاع المجتمعات الإسلامية من سيء إلى أسوأ في ظل الظروف السابقة، فلقد هاجر كثير من العلماء والشعراء من بلادهم مضطرين أمام تلك الظروف، ومنهم من فقد مؤلفاته ودواوينه، وأدى ذلك إلى تدهور الأوضاع التعليمية في الجناح الشرقي من الدولة الإسلامية بشكل واضح، ولم تعد تلك البلاد إلى ما كانت عليه إلا بعد أن استقر المغول في إيران واختلطوا بالمسلمين ودخلوا في الإسلام منذ عصر السلطان المغولي أحمد تكودار[(١)]، حيث أسفر إسلام المغول عن تحول كبير في سياسة حكامهم مع الرعية الأمر الذي انعكس بلا شك على مختلف نواحي الحياة لاسيما النواحي الاجتماعية والعلمية حيث أصبح المغول يشاركون أهالي البلاد من الإيرانيين كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم، بل أصبح المغول من أشد المعجبين بالحضارة الإيرانية ومن أقوى دعاتها[(٢)].

(١) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٨٧م، ص٢٦٠-٢٦٣؛ د. محمد أحمد محمد: إسلام الإيلخانيين، شركة الصفا للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٨٩م، ص٥٦-٥٩، والسلطان أحمد تكودار هو الابن السابع لهولاكو خان المغولي حفيد جنكيزخان، تولى حكم الدولة المغولية في إيران خلال الفترة الزمنية (٦٨٠-٦٨٣هـ/١٢٨١-١٢٨٤م)، وهو أول سلاطين المغول في إيران دخولا في الإسلام. وكان إسلامه من أهم الأسباب التي أدت إلى مقتله في جمادى الأولى عام ٦٨٣هـ/أغسطس ١٢٨٤م. انظر: د. فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، منشورات جامعة قطر ١٩٨٧م، ص١٢١، ص١٢٥، ص١٤٦.

(٢) دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ترجمة د. عبد النعيم حسنين، دار الكتاب المصري بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٠٧-١٠٨؛ إدوارد بروي: تاريخ الحضارات العام (ج٣ القرون الوسطى)، بإشراف موريس كروزيه، منشورات عويدات، بيروت- الطبعة الثانية ١٩٨٦م. جـ٣ ص٣٦١؛ شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، تعريب خالد أسعد عيسى، مراجعة د. سهيل زكّار، دار إحسان، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص٧٣.

وعلى الرغم من كل هذا؛ فلقد كانت تلك الظروف عاملا مشجعا لكثير من العلماء على التأليف والحث على الإصلاح، واشتغل كثير منهم بأمر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم من كانت تلك الأوضاع من العوامل الدافعة له نحو الرحلة في البلدان الإسلامية لطلب العلم ومحاولة الإصلاح، وكان من بين هؤلاء العلماء الحافظ محب الدين ابن النجار.

رحلات ابن النجار:

تنقل ابن النجار بين العديد من أقطار العالم الإسلامي في عصره، واستمرت فترة ترحاله سبعة وعشرين عاما(١)، وقد أشار بنفسه إلى رحلته الواسعة في طلب العلم فقال: "رحلت وأنا ابن ثمان وعشرين سنة، فدخلت الحجاز والشام ومصر والثغر وبلاد الجزيرة والعراق والجبال وخراسان، وقرأت الكتب المطولات، ورأيت الحفاظ، وكنت كثير التتبع لأخبار فضلاء بغداد ومن دخلها"(٢).

بدأ ابن النجار رحلاته من بغداد إلى بلاد الحجاز، فأقام بمكة والمدينة سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، فحج وسمع بها على

(١) انظر مقدمة التحقيق لكتاب الدرة الثمينة لابن النجار ص١٤؛ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية جـ٢ص١٥٧.

(٢) انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣٢ ؛ وانظر مقدمة الناشر لكتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٢١.

جماعة، ثم رحل من مكة إلى الشام في سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، ودخل دمشق فقرأ على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي[١]، وأبي القاسم الحرستاني[٢] وجماعة، وقدم حلب، فسمع بها أبا هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي[٣]، وأبا محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي[٤]، وغيرهما.

ومن حلب اتجه ابن النجار إلى بلاد الجزيرة والموصل وتكريت وسمع خلال طريقه إلى هذه البلاد، ثم عاد إلى بغداد، ومنها خرج إلى بلاد الجبل، فسمع بهمذان من أصحاب أبي المحاسن نصر بن المظفر البرمكي[٥]، ودخل أصفهان، فسمع من أصحاب أبي بكر محمد بن علي بن أبي ذر الصالحاني[٦]، وإسماعيل بن الفضل بن أحمد بن الإخشيد

(١) ولد في سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، وتوفي في دمشق من عام ٦١٣هـ/١٢١٦م، وكان ماهرا في النحو واللغة محدثا حافظا مقرئا جامعا لأسباب الفضل. انظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ٣ص١٣٣٠-١٣٣١ ترجمة رقم (٥٠٤).

(٢) قاضي قضاة دمشق عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني الأنصاري، ولد سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، وتوفي ٦١٤هـ/١٢١٧م. معجم البلدان، نشر دار صادر ببيروت (بدون تاريخ نشر) جـ٢ص٢٤١.

(٣) الشيخ الإمام العلامة، كبير الحنفية، افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي، كان من علماء عصره في الحديث والفقه والتفسير، تعلم بما وراء النهر ورحل كثيرا وتوفي في حلب سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص٩٩-١٠٠.

(٤) الإمام الشيخ الزاهد أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي، ولد سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، وكان له فهم ومعرفة وعناية تامة للحديث، وفيه دين وصلاح ومعرفة بفقه الشافعي. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص٣٠٣-٣٠٤.

(٥) توفي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م. الذهبي: العبر في خبر من غبر جـ٣ص١٩٥.

(٦) هو الشيخ أبو بكر محمد بن علي بن الشيخ أبي ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني الأصبهاني، ولد سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م، وكان كما يقول عنه الذهبي "صدوق، مسند وقته". سير أعلام النبلاء جـ١٩ص٥٨٥.

السراج[1]، وغانم بن خالد التاجر[2]، وزاهر بن طاهر الشحامي[3].

ثم رحل إلى إقليم خراسان[4]؛ فسمع بنيسابور: المؤيد بن محمد بن علي الطوسي[5]، وأبا بكر القاسم بن عبد الله بن عمر بن أحمد الصفار[6]، وزينب بنت عبد الرحمن بن أحمد الشَّعْري[7]، وغيرهم، وسمع بمدينة هراة أبا روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل البزاز الصوفي[8]، وسمع بمرو من أبي المظفر

(١) الشيخ أبو سعد إسماعيل بن الفضل بن أحمد بن محمد بن علي الأخشيذ ولد سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، وتوفي سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م. قال الذهبي: الشيخ الأمين، المسند الكبير، ووثقه أبو طاهر السلفي. سير أعلام النبلاء جـ١٩ص٥٥٥.

(٢) الشيخ أبو القاسم بن أبي طاهر الأصبهاني التاجر، ولد سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م، وتوفي في رجب سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م، وكان سديداً ثقة مكثراً. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٠ص١٠٠.

(٣) زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن مرزبان، ولد سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، وتوفي سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م بنيسابور، وتعلم الحديث وأحب الرواية ورحل كثيرا، وكان عالما محدثا مسند خراسان في عصره. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٠ص٩-١٠.

(٤) راجع عن رحلة ابن النجار إلى خراسان وسماعه بها الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣١-١٣٢؛ ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد مجـ١٨ص١-٢.

(٥) أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي الأصل النيسابوري الدار، ولد سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م، وتوفي سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، المقرئ المعمر مسند خراسان. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس نشر دار صادر ببيروت بدون تاريخ، جـ٥ص٣٤٥.، ترجمة رقم(٧٥٢).

(٦) الإمام الفقيه المسند أبو بكر القاسم بن الشيخ أبي سعد عبد الله بن الفقيه عمر بن أحمد النيسابوري، مفتي خراسان، ولد سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م، واستشهد في نيسابور سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م على أيدي المغول. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص١٠٩-١١٠.

(٧) الشيخة الجليلة، مسندة خراسان، أم المؤيد، حرة ناز زينب بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبدوس الجرجانية الأصل، النيسابورية الشعرية، كانت صالحة مُعمِّرة مكثرة توفيت بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م. الذهبي:. سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص٨٥-٨٦.

(٨) الشيخ حافظ الدين أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل البزار الهروي الصوفي، =

عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني[1]، وغيرهم.

ثم عاد إلى بغداد، وأقام بها سنة، ثم عاد ودخل أصفهان، فسمع في طريقه بنهاوند والكرج، وأقام بأصفهان إلى أن استولى المغول عليها وهو بها يكتب ويسمع، إلى أن يسر الله له الخروج سالمًا منها مع كتبه وما جمعه وألفه إلى بغداد، فدخلها سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، وأقام بها ثلاثة أشهر، ثم رحل عنها إلى البلاد الشامية، فحدث بها، ثم توجه إلى الديار المصرية، فكتب بها عن الشيوخ،وسمع وحدث بالإسكندرية[2]، وأكرمه سلطان مصر السلطان الملك الكامل الأيوبي[3] وسأله المقام في مصر، قال ابن النجار في ترجمة ابن دحية: "لما دخلت مصر طلبني السلطان [الكامل الأيوبي] فحضرت عنده، وكان يسألني عن أشياء من الحديث، وأيام الناس، وأمرني بملازمة القلعة فكنت أحضر

=

الشيخ الجليل الصدوق المعمر، مسند خراسان، ولد سنة ٥٢٢هـ، ومات مستشهدا في هراة على أيدي المغول عام ٦١٨هـ.. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص١١٤، وانظر كتابه تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام -تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، (ج٤٤ حوادث ووفيات ٦١١-٦٢٠هـ) نشر دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، جـ٤٤ص٤٠٧-٤٠٩.

(١) الشيخ الإمام العلامة المفتي المحدث المروزي الشافعي، حَصَّل من كل فن، وانتهت إليه رياسة الشافعية ببلده، وكان معظمًا محترمًا ولد سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م، وتوفي سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، أو ٦١٨هـ/ ١٢٢١م. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص١٠٧،.

(٢) ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد مج١٨ص٣.

(٣) السلطان الكبير الملك الكامل، ناصر الدنيا والدين، أبو المعالي، صاحب مصر والشام، وميافارقين وآمد وخلاط والحجاز واليمن وغير ذلك، تملك الديار المصرية أربعين سنة، وكان عاقلاً، مهيبًا، كبير القدر، ولد في سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، وتوفي في دمشق سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٢ص١٢٧، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٧ص٣٠١-٣٠٤.

فيها كل يوم"[1].

أثر رحلات ابن النجار في كتاباته التاريخية وسبب تأليفه كتاب الدرة الثمينة :

تشكل الرحلة محورا مهما من محاور الكتابة التاريخية في كل زمان ومكان، وبلا شك فإن الرحلة تؤثر تأثيرا كبيرا في كتابات المؤرخين حيث يبرهن الرحالون دائما عن مواكبتهم لحركة التدوين والظروف التاريخية التي عاصروها أو قاموا بأسفارهم خلالها، فاستفادوا من الحوافز المشجعة لانتشار الرحلات المتنوعة، واستجابوا لتعطش القراء لمعرفة أحوال البلدان وسكانها، فدونوا مذكراتهم التي لقيت إقبالا من طرف الفئات الثلاث من مجتمعهم وهي: فئة الحكام -الفئة الخاصة- الفئة العامة[2].

وإيمانا منهم بنشر المعرفة؛ بذل العلماء القائمون بالرحلة جهودهم في خدمة العلوم والأدب والتقريب بين الحضارات خدمة للعلوم الإنسانية، فرفعوا بذلك شأن الحركة العلمية بشكل واضح.

وقد أدت رحلات ابن النجار العديدة إلى ذيوع شهرته بين المدن والبلدان التي رحل إليها وتعلم بها، كما كان لتلك الرحلات أثر واضح في تنوع كتاباته وتعدد اتجاهاتها بتنوع

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣٣-١٣٤.
(٢) محمد ماكامان: أثر الرحالين في التقدم العلمي والحضاري ص١؛ (http://www.aljabriabed.net/n87_06makaman.htm)

موارده الكتابية فاشتهر وكتب "عمن دب ودرج من عال ونازل، ومرفوع وأثر، ونظم ونثر، وبرع وتقدم، فصار المشار إليه ببلده"[1].

ومن الملاحظ أن بعض مؤلفات ابن النجار قد أنتجت في فترات تاريخية متعاقبة وفي أماكن مختلفة، ومن هذه المؤلفات ما أُلِّفَ بدافع المكان الذي وجد فيه ابن النجار، وإذا ما استطلعنا عناوين مؤلفاته التي وصلت إلينا سنجد أن كثيرا منها يندرج تحت باب التاريخ والسير والتراجم، وأن معظم هذه المؤلفات ألفها ابن النجار من واقع المكان الذي كان فيه.

فمن مؤلفاته في مجال التاريخ:

١- التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضائلها الأعلام ومن وردها من الأعلام.
٢- العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق.
٣- الدرة الثمينة في أخبار المدينة.
٤- نزهة الورى في أخبار أم القرى.

ومن مؤلفاته في السير والتراجم:

١- القمر المنير في المسند الكبير.
٢- نسب المحدثين إلى الآباء والبلدان.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣٢-١٣٣، الكتبي: فوات الوفيات جـ ٤ص٣٦؛ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية جـ٢ص١٥٧.

٣- معجم الشيوخ.
٤- جنة الناظرين في معرفة التابعين.
٥- نهج الإصابة في معرفة الصحابة
٦- مناقب الإمام الشافعي.
٧- الكمال في معرفة الرجال.
٨- نزهة الطرف في أخبار أهل الظرف.

أما عن سبب تأليفه كتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة فيقول ابن النجار في ذلك: "فإني لما دخلت مدينة النبي ﷺ، وأسعدت بزيارته، أقمت بها، فاجتمعت بجماعة من أهل الصلاح والعلم والفضل من المجاورين بها، وفقهم الله وإيانا، فسألوني عن فضائل المدينة وأخبارها، فأخبرتهم بما تعلق في خاطري من ذلك، فسألوني إثباته في أوراق، فاعتذرت إليهم؛ بأن الحفظ قد يزيد وينقص، ولو كانت كتبي حاضرة كنت أجمع كتابًا في ذلك شافيًا لما في النفس، فألحوا علي وقالوا: تحصيل اليسير خير من فوات الكثير، وهذه مع شرفها قد خلت ممن يعرف من أخبارها شيئًا، ونحن نحب أن يكون لك بها أثر صالح تذكر به.

فأجبتهم إلى ذلك؛ رجاء لبركتهم، واغتنامًا لامتثال أمرهم، وقضاء لحق جوارهم وصحبتهم، وطلبًا لما عند الله تعالى من الثواب بنشر فضائل دار الهجرة، ومنبع الوحي، وذكر أخبارها والترغيب في سكناها، والحث على زيارة المدفون بها صلوات الله عليه وسلامه، واستخرت الله تعالى، وأثبت في هذا الكتاب ما تيسر من ذلك بعون الله تعالى وحسن

توفيقه"[١].

وهكذا حدد لنا ابن النجار سبب تأليفه كتاب "الدرة الثمينة"، وأنه إنما ألفه بدافع من بعض أهل العلم والصلاح الذين لقيهم بالمدينة المنورة، وكانوا مجاورين بها، ويبدو هنا أثر هذه الرحلة الطيبة والظروف التي أحاطت بها على ابن النجار حيث كانت سببا رئيسا كما هو واضح وراء تأليفه لهذا الكتاب في تاريخ المدينة.

(١) ابن النجار: الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ص٢٣-٢٤.

المبحث الثالث
أهمية كتاب الدرة الثمينة ومنهج ابن النجار في كتابته

أهمية الكتاب:

اهتم المؤرخون المسلمون برصد تاريخ المدينة المنورة منذ فترة تاريخية مبكرة تعود إلى القرن الأول الهجري، فلقد ظهرت في البداية روايات شفهية قبل ظهور المؤلفات المكتوبة عن المدينة، وكان من أهم تلك الروايات الشفهية وأشهرها ما وصل إلينا من روايات عبد العزيز بن عمران الزهري (ت١٩٧هـ/٨١٢م) حول تاريخ المدينة والتي نقلها عنه تلاميذه، ثم ظهرت بعد ذلك المؤلفات المكتوبة عن المدينة إبان القرنين الثاني والثالث الهجريين وهي مؤلفات عديدة تعالج تاريخ المدينة منذ هجرة النبي صلى اللّه عليه وسلم إليها حتى وفاة كل مؤلف من أولئك المؤلفين(١).

ويعتبر كتاب "الدرة الثمينة في أخبار المدينة" للحافظ ابن النجار واحدا من المصادر المهمة التي ألفت عن تاريخ المدينة المنورة في القرن السابع الهجري، وقد اعتبره الدكتور صلاح الدين شكر "من أجمل وأجود ما كتب قديمًا وحديثًا في أخبار المدينة وفضائلها"(٢)، حيث انتهج فيه مؤلفه نهجا مغايرا لنهج من سبقه من المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ المدينة

(١) راجع عن ذلك: صلاح عبد العزيز سلامة: أول كتاب في تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة لابن زبالة) -مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ص٤-٦.

(٢) د. صلاح الدين شكر: ابن النجار وكتابه الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٣١.

أمثال عمر بن شبة النميري (ت/٢٦٢هـ/٨٧٥م)[١] الذي اتبع في كتابه (تاريخ المدينة المنورة) طريقة المحدثين، ولم تكن أخباره التي أوردها في ذلك الكتاب متوسعة في جميع المجالات، بل كانت سيرا مقتضبة لأحداث جرت بالمدينة ومواقع معينة بها ذكر ابن شبة عنها أشياء يسيرة، كل هذا فضلا عن نقصان المادة العلمية التي وصلت إلينا من الكتاب[٢].

أما كتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة للحافظ ابن النجار فتأتي أهميته من عدة نواح منها:

١- أن ابن النجار كان واحدا من أبرز المحدثين والمؤرخين الموسوعيين في عصره، فجاء ما كتبه عن تاريخ المدينة أقرب ما يكون إلى التاريخ الموسوعي في تعدد موضوعاته وتنوعها بتنوع موارده الكتابية.

٢- أن الكتاب اشتمل على معلومات وفيرة في التاريخ والحديث والرواية، والأثر... وغير ذلك.

٣- معاصرة ابن النجار ومعايشته الواقعية ورؤيته لكثير من المواقع الجغرافية والعمرانية التي كتب عنها في تاريخ

---

(١) هو عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد النميري حيث كان مولى لبني نمير، ولد بعباداان سنة ١٧٣هـ، ومات بسر من رأى في جمادى الآخرة سنة ٢٦٢هـ وبلغ في السن تسعين سنة. وكان محدثا مؤرخا كتب العديد من المؤلفات، لم يصلنا منها سوى كتابه تاريخ المدينة المنورة، ولم يصل إلينا كاملا. راجع د. عبد الباري محمد الطاهر: عمر بن شبة ومنهج كتابة التاريخ العمراني من خلال كتابه تاريخ المدينة المنورة، حولية كلية دار العلوم – جامعة الفيوم ٢٠٠٦، ص١-٧.

(٢) ابن النجار: الدرة الثمينة في أخبار المدينة (مقدمة التحقيق) ص١٩.

المدينة فكانت معلوماته عنها مستمدة من واقع شاهده بنفسه.

٤- تنوع موضوعات الكتاب حيث شمل الحديث عن بعض الأحداث التاريخية وكذلك لم يهمل الحديث عن كثير من الجوانب الحضارية فتحدث ابن النجار عن المنشآت العمرانية في المدينة مثل الآبار والجبال والأودية والمساجد مع الحديث عن فضل كل هذه المظاهر العمرانية لاسيما المساجد.

٥- تفرد الكتاب برسم مخطط توضيحي يبين صفة الحاجز الذي بناه الخليفة عمر بن عبد العزيز ﵁، مبينا الحجرة الشريفة في وسطه[١].

٦- ضم كتاب الدرة الثمينة معلومات فريدة عن المسجد النبوي الشريف، من حيث عمارته، وتوسعاته، وأبوابه، وحجراته، ومنبره، وما كان حوله من الدور ومنازل المهاجرين، كما تعرض للحديث عن بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بدخول المسجد والصلاة فيه وآداب التعامل معه[٢].

محتويات كتاب ابن النجار ومنهجه في كتابه الدرة الثمينة:

من الأمور التي تلفت النظر أن ابن النجار لم يشأ أن يكتب تاريخا مفصلا عن المدينة المنورة خلال الفترة التي تلت

(١) انظر كتاب الدرة الثمينة ص١٥٢.
(٢) راجع الباب الثاني عشر من كتاب الدرة الثمينة، الصفحات (٨٥-١٢٢).

عصر التابعين حتى عصره، ولا نعرف لماذا توقف ابن النجار في التأريخ المفصل للمدينة عند ذلك الحد، ويبدو أنه كان يكتفي ببعض الإشارات التي جاءت خاصة بمواقع جغرافية ومظاهر عمرانية معينة حيث كان يعقب على وصفها بقوله "إلى يومنا هذا"، أو "وهي اليوم باقية على حالها"...[1].

ويشير الباحث صلاح عبد العزيز سلامة في بحث له عن كتاب ابن زبالة[2] المعنون بأخبار المدينة أن الإمام الحافظ ابن النجار قد تأثر بشكل واضح بمنهج ابن زبالة وأسلوبه وتبويب محتويات كتابه[3].

وقد ذكر ابن النجار بنفسه في معرض حديثه عن سبب تأليفه الكتاب المنهجَ والتقسيم الذي اختطه لنفسه في كتابته، فقال: "........ ثم إني قسمته ثمانية عشر بابا:

الباب الأول: في ذكر أسماء المدينة وأول ساكنيها
الباب الثاني: فتح المدينة
الباب الثالث: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إليها

(١) انظر مثلا ما ردده من هذا القبيل حول وصف مسجد النبي ﷺ وما طرأ عليه من زيادات، ص١٠٤، ص١١٢.

(٢) هو محمد بن الحسن بن أبي الحسن القرشي المخزومي المدني، أبو الحسن، وقيل أبو عبد الله (توفي ١٩٩هـ)، ويعرف بابن زَبَالة بفتح الزاي وتخفيف الموحدة أي على زنة سحابة، أحد كبار الإخباريين الذي برزوا في القرن الثاني الهجري ومهدوا الطريق أمام المؤرخين الكبار الذي جاءوا من بعده، كما أنه يعد أول من صنف كتاباً شاملاً في أخبار المدينة المنورة. راجع صلاح عبد العزيز سلامة: أول كتاب في تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة لابن زبالة) - مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ص٧-٨، العدد الثاني (جمادى الآخرة – شعبان) ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٣) صلاح عبد العزيز سلامة: أول كتاب في تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة لابن زبالة) ص٢٤.

الباب الرابع: فضائلها
الباب الخامس: تحريمها وحدود حرمها
الباب السادس: وادي العقيق وفضله
الباب السابع: آبار المدينة وفضلها
الباب الثامن: جبل أحد وفضله وفضائل الشهداء به
الباب التاسع: إجلاء بني النضير من المدينة
الباب العاشر: حفر الخندق حول المدينة
الباب الحادي عشر: في ذكر قتل بني قريظة بالمدينة
الباب الثاني عشر: مسجد النبي ﷺ وفضله
الباب: الثالث عشر: المساجد التي بالمدينة وفضلها
الباب الرابع عشر: مسجد الضرار وهدمه
الباب الخامس عشر: وفاة النبي ﷺ وصاحبيه رضي اللّه عنهما
الباب السادس عشر: فضل زيارة النبي ﷺ
الباب السابع عشر: البقيع وفضله
الباب الثامن عشر: أعيان من سكن المدينة من الصحابة والتابعين من بعدهم"[1].

وتنتظم هذه الأبواب الثمانية عشر أربعةُ محاور رئيسة هي:

المحور الأول: معلومات عن المدينة، ويضم هذا المحور الأبواب (الأول-الرابع-الخامس)

المحور الثاني: بعض الأحداث التاريخية المتعلقة بالمدينة، ويضم الأبواب (الثاني-الثالث-التاسع-العاشر-الحادي عشر-

(١) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٢٤.

الخامس عشر)

المحور الثالث: بعض المظاهر العمرانية بالمدينة ويضم الأبواب (السادس-السابع-الثامن-الثاني عشر-الثالث عشر-الرابع عشر-السابع عشر)

المحور الرابع: أسماء أعيان الصحابة والتابعين الذين سكنوا المدينة، ويضم الباب الأخير (الثامن عشر).

ويلاحظ من هذه المحاور الأربعة أن محور الحديث عن الجوانب العمرانية في المدينة المنورة قد أخذ الحيز الأكبر من كتاب ابن النجار، وأنه قد أفرد لذلك سبعة أبواب من مجموع ثمانية عشر بابا، وربما يرجع السبب في ذلك إلى رغبته في توثيق معلوماته عن تلك الأماكن من خلال ما شاهده وعاينه بنفسه لتلك البقاع المباركة في وقت كانت أصول كتاباته وأوراقه لم تكن جميعها في حوزته كما نص هو بنفسه على ذلك في مقدمة كتابه، بالإضافة إلى أنه أشار أن كتابه عن المدينة سوف يضم "فضائلها وأخبارها"[1].

أما عن المنهج والأسلوب الذي اتبعه ابن النجار في كتابه فيمكن الإشارة إليهما من خلال النقاط التالية:

١) التأريخ بالموضوعات:

يعتبر الحافظ ابن النجار واحداً من المؤرخين المسلمين الموسوعيين الذين لم تطغ موسوعيتهم على منهجهم العلمي،

(١) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٢٣.

فلقد التزم ابن النجار في كتابه طريقة التأريخ بالموضوع، ووضع نصب عينيه هذا المنهج وهو يقسم كتابه إلى أبواب، فجمع كل جزئيات الموضوع الواحد تحت عنوان واحد، فعندما تعرض للحديث عن أسماء المدينة وأول من سكنها، جعل لذلك بابا خاصا في كتابه هو الباب الأول سماه "في ذكر أسماء المدينة وأول من سكنها"، وقد جمع في هذا الباب كل ما يتعلق بجزئيات هذا العنوان[1].

كذلك عندما تعرض للحديث عن فضائل المدينة أفرد لذلك بابا خاصا هو الباب الرابع من كتابه سماه "ذكر فضل المدينة وما قيل في ترابها"، وقد جمع في هذا الباب ما استطاع من أحاديث الرسول ﷺ والأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم في فضل المدينة وفضل السكن بها والموت على أرضها، وفي بعض زروعها كالتمر وغيره[2].

وقد أفرد ابن النجار الباب الثاني عشر من كتابه – وهو أكبر باب في الكتاب-للحديث عن مسجد النبي ﷺ وفضله، فتحدث عن فضيلة الصلاة في هذا المسجد وتعرض لذكر حجر أزواج النبي ﷺ والمنبر والروضة الشريفة، ووصف هذه المعالم، ثم تحدث عن بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بدخول المسجد والصلاة فيه، ثم تحدث عن الزيادات التي طرأت على المسجد منذ عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) حتى عصر الخليفة

(١) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٢٥-٣٢.
(٢) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ٤١-٤٩.

المهدي العباسي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م)، وأنهى ابن النجار هذا الباب بالحديث عن بعض متعلقات المسجد[١].

وعلى هذا النحو اتبع ابن النجار في كتابه طريقة التأريخ بالموضوعات، أما عن المحور التاريخي وهو التأريخ للأحداث، فهو قليل بشكل ملحوظ في كتابه قياسا بالحديث عن موضوعات التاريخ العمراني ومظاهره في المدينة وذكر فضل هذه المظاهر، وقد سبقت الإشارة إلى أن "موضوعات التاريخ السياسي أو التأريخ للأحداث والوقائع في كتاب الدرة الثمينة" قد تضمنت الأبواب "(الثاني-الثالث-التاسع-العاشر-الحادي عشر-الخامس عشر) من الكتاب، فتحدث في الباب الثاني عن فتح المسلمين للمدينة مشيرا إلى بيعتي العقبة وأهميتهما في هذا الحدث قبيل هجرة النبي ﷺ[٢]، وفي الباب الثالث تحدث عن هجرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام من مكة إلى المدينة والظروف التاريخية التي أحاطت بهذا الحدث الكبير[٣].

أما الأبواب التاسع والعاشر والحادي عشر فقد خصصها للحديث عن بعض غزوات النبي ﷺ هي على التتابع غزوة بني النضير (ربيع الأول سنة ٤هجرية)، وغزوة الخندق (شوال ٥ هجرية) ثم غزوة بني قريظة (ذو القعدة ٥ هجرية)[٤].

(١) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ٨٥-١٢٢.
(٢) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٣٣-٣٤.
(٣) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٣٥-٤٠.
(٤) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٧٥-٨٤.

ويلاحظ أن ابن النجار لم يفصل القول في جميع غزوات النبي ﷺ، وإنما تحدث فقط عن تلك الغزوات التي اتصلت اتصالا مباشرا بمستقر الجماعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهو أمرٌ محمودٌ لابن النجار حيث لم تستدرجه التفصيلات وكثرة الأحداث في غزوات النبي ﷺ إلى مخالفة المنهج الذي اختطه لنفسه وهو التركيز على أخبار المدينة وفضائلها، ولذلك فإنه عندما تحدث عن أحداث غزوة أحد في الباب الثامن من كتابه[1]، جاء حديثه عنها من خلال الحديث عن جبل أحد نفسه باعتباره أحد المعالم الجغرافية البارزة في المدينة المنورة، حيث تكلم ابن النجار عن فضل الجبل وما ورد في شأنه من الأحاديث والآثار، ثم تكلم عن أحداث غزوة أحد ومن استشهد بها من الصحابة وفضلهم جميعا.

وعلى ما يبدو أن ما حواه كتاب الدرة الثمينة لابن النجار من أحداث تاريخية قليلة قد جاء مرتبطا ارتباطا وثيقا بمعالم جغرافية وعمرانية في المدينة المنورة، وكان ذلك وراء اهتمامه بهذه الأحداث والحديث عنها.

على أن ابن النجار لم يورد في كتابه الحديث عن موضوعات أخرى مهمة تتعلق بجوانب التأريخ الثقافي والعلمي في المدينة المنورة، فلم ينهج نهج غيره ممن كتب في تواريخ المدن الإسلامية حيث أرخوا للمدن من خلال علمائها والواردين عليها، كما فعل السهمي في كتابه عن "تاريخ جرجان"، وأبو عبد الله الحاكم في كتابه عن "تاريخ نيسابور"، والخطيب

(١) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ٦٥-٧٣.

البغدادي في كتابه عن "تاريخ بغداد" على الرغم من أن ابن النجار قد ذيّل عليه واتبع في الذيل نهج ابن الخطيب.

٢) استخدام ابن النجار الإسناد :

يعتبر الإسناد في العلوم الإسلامية من الأمور المهمة التي اختصت بها الأمة الإسلامية، وهو أمر غاية في الأهمية لمعرفة صدق الخبر من عدمه، كما أن الإسناد يعد وسيلة لنقد الأخبار حيث يساعد تحديد نقلة الخبر في التعرف على قيمته، لاسيما إذا كان السند صحيحا متصلا، حيث يتميز هذا النوع من السند بأنه يعطي طمأنينة وثقة بما يتم نقله عن هذا الطريق، إذ يمثل شهادة مجموعة من الرجال العدول الثقات الضابطين، مما يؤكد صحة الخبر المنقول وضبطه.

وميزة السند أيضاً أن الروايات المسندة أفضل بكثير من الروايات والأخبار غير المسندة، لأن فيها ما يدلُّ على أصلها، ويمكن التحكُّم في نقدها وفحصها بصورة أفضل من الأخبار الخالية من السند، وهكذا يبقى الهدف من السند هو تصحيح النصوص والأخبار، ومحاربة الوضع والكذب فيها. ولأهمية الإسناد فإن استعماله لم يعد قاصراً على الحديث النبوي، وإنما شاع استعماله في علوم أخرى كالتفسير والتاريخ والأدب حتى صار يمثل الصفة الغالبة على منهج تدوين العلوم الإسلامية المختلفة[1].

(١) د. أكرم ضياء العمري: دراسات تاريخية (مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات) نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٦.

وفي مجال التاريخ لما كان ذكر السند يساعد على التحقق من صحة الرواية ونقد الأخبار، فلذلك حافظ عليه العلماء الأعلام الذين قاموا بالجمع والتدوين سواء في السيرة النبوية أم في الأخبار التاريخية كما فعل أبان بن عثمان[1]، وعروة بن الزبير[2] ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم.

أما محب الدين ابن النجار، فقد كان محدثا بالدرجة الأولى، ولذلك فقد عني عناية خاصة بذكر الأحاديث والأخبار بإسنادها قدر المستطاع، حيث أسند رحمه الله كثيرًا من أحاديث الكتاب وأثاره دون أن تكون معه كتبه وأصوله كما ذكر هو في مقدمته، ولذلك ترك كثيرا من تلك الأحاديث والآثار بغير إسناد لتعذر حضور تلك الأصول[3]، ويكفيه رحمه الله أنه أشار إلى ذلك إيمانا منه بأهمية استخدام السند في الرواية الحديثية والتاريخية على الرغم من ميل كثير من المؤرخين المسلمين منذ القرن الثالث الهجري إلى التخلص من هذه الطريقة السندية في رواية الأحداث، لاسيما وأن كثيراً من الأحداث التاريخية كانت قد أصبحت معروفة جيداً حتى عصر ابن النجار بواسطة الأسانيد المتعددة، ورغم ذلك لم يهمل ابن النجار السند في كثير من رواياته، بل إنه

(١) أبان بن عثمان بن عفان الفقيه الأمير، توفي سنة ١٠٥هـ، كان من رواة الحديث وفقهاء المدينة، راجع عنه الدراسة التي أعدها الدكتور عبد الباري محمد الطاهر بعنوان: "أبان بن عثمان الأمير العالم" – مجلة دراسات تاريخية – جامعة دمشق السنة ٢٢، العددان (٧٥-٧٦) أبريل ٢٠٠١م.

(٢) عروة بن الزبير بن العوام، كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان محدِّثاً عالماً بالسيرة والمغازي .توفي عام ٩٣هـ

(٣) الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ص٢٣-٢٤.

نقل إلينا نصوصا كاملة عن كتاب أخبار المدينة لابن زبالة بسندها الكامل المفقود عند ابن زبالة نفسه[1].

ونظرا لأن ابن زبالة من المحكوم عليهم لدى أهل الجرح والتعديل بالضعف الشديد في الحديث، لدرجة أن معظمهم قال بترك حديثه[2]، فإنه يؤخذ على ابن النجار أيضا نقله عن كتاب محمد بن الحسن بن زبالة عن أخبار المدينة دون تمحيص، حيث نقل ابن النجار نصوصا كثيرة عن ابن زبالة بسندها[3]، ورغم ذلك فإن تخصص ابن النجار الدقيق في علوم الحديث بدا واضحا في مواضع متفرقة من كتابه كان يثبت فيها الأحاديث بسندها الصحيح من كتب الصحاح[4].

٣) الاستدلال وإثبات صحة القول والحدث:

من الأمور التي ميزت كتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة أنه في كل باب من الأبواب الثمانية عشر التي يحتوي عليها الكتاب؛ كان ابن النجار يدلل على صدق كلامه بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، كما

---

(١) انظر صلاح عبد العزيز سلامة: أول كتاب في تاريخ المدينة المنورة ص١٩، وانظر مثلا ما ورد في كتاب الدرة الثمينة ص٢٥، ص٢٦، ص٤٢، ٨٧؛ ص١١٨، ص١١٩؛ ١٦٤، ص١٦٥؛ ص١٦٨، ص١٦٩.

(٢) انظر في ذلك: الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣ هـ، ج٣، ص ٢٩ ؛ السيد أبو المعاطي النوري وآخرين: الجامع في الجرح والتعديل، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ج٢ص٤٦٥-٤٦٦.

(٣) أحصى الباحث صلاح عبد العزيز سلامة النصوص التي نقلها ابن النجار عن ابن زبالة فقال إنها بلغت اثنين وثلاثين نصاً حرفياً كاملاً بالسند. انظر بحثه: أول كتاب في تاريخ المدينة المنورة ص٢٤.

(٤) انظر ابن النجار: الدرة الثمينة، ص ٢٥، ص٣٥، ص٤١، ص٤٢، ص٤٥، ص٨٣؛ ص٩٣؛ ص٩٩؛ ص١٢٣، وغير ذلك من الصفحات.

كان يستخدم الأخبار والآثار المروية عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم في إثبات صحة ما يقول.

فعندما تعرض للحديث عن أسماء المدينة وأول من سكنها استشهد بما ورد من مسميات للمدينة في التوراة نقلها ابن النجار عن محمد بن الحسن بن زبالة[1]، وعند الحديث عن فضائل المدينة وما جاء في فضل ترابها استشهد ابن النجار بحديث النبي ﷺ "**غُبَارُ المدينَةِ شفاءٌ من الجُذَامِ**"[2]، وفي فضل الموت بالمدينة استشهد ابن النجار بحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: " **مَنْ اسْتَطَاعَ أنْ يَمُوتَ بالمَدِيْنَةِ فليَمُتْ، فإنَّه مَنْ مَاتَ بالمَدِينَةِ شَفَعتُ له يَوْمَ القِيَامَةِ**"[3].

وعندما تعرض للحديث عن الروضة الشريفة أخبر ابن النجار بسند طويل بدأه بنفسه أن النبي ﷺ قال "**مَا بَيْنَ حُجْرَتِي ومِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**"[4].

ولم تكن شواهد ابن النجار جميعها من الأحاديث فقط؛ وإنما كان يستخدم الآثار أيضا للتدليل على صحة ما يقول، فنراه عندما ذكر جواز النوم في مسجد النبي ﷺ استدل بحديث البخاري من أن عبد الله بن عمر رضي الله

(١) الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٢٥.

(٢) ابن النجار: الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٤١، والحديث رواه الديلمي في الفردوس جـ٣ص١٠١ حديث رقم "٤٢٨١".

(٣) الدرة الثمينة ص٤٨-٤٩، والحديث حسن ذكره ابن حبان في صحيحه٩/٥٧ حديث رقم "٣٧٤١"، وكذلك الترمذي ٥/٦٧٦ حديث رقم "٣٩١٧".

(٤) الدرة الثمينة ص٩٨-٩٩، والحديث أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين.

عنهما كان ينام في المسجد وهو "شاب عزب لا أهل له"[1].

وعلى هذا النهج سار ابن النجار في كتابه لا يكتب شيئا دون أن يورد ما يعضده بنص من القرآن أو الحديث أو أثر من أقوال الصحابة والتابعين، ومن الملاحظ أن ابن النجار لم يستشهد كثيرا في الأبواب التي تحدث فيها عن غزوات النبيﷺ، وإنما اكتفى بسرد الأحداث التاريخية لهذه الغزوات في شكل موجز، ويبدو أنه نقلها عن كتب السيرة والتاريخ التي تناولت تلك الغزوات.

٤) تعليقات ابن النجار:

لم يترك ابن النجار نصوص كتابه تسرد على القارئ دون تدخل أو بيان أو تعليق منه، فلقد رأيناه في مواضع متفرقة يتدخل برأيه مضيفا أو معقبا أو ناقدا، أو موضحا.

فعند الحديث عن الروضة الشريفة ذكر ابن النجار تعقيبا على حديث النبي ﷺ " **مَا بَيْنَ حُجْرَتِي ومِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ** "، قال ابن النجار: "قلت: والذي عندي أن يكون هذا الموضع بعينه روضة من رياض الجنة يوم القيامة"[2].

ومن مواقفه النقدية رده رأي أبي عبيد القاسم بن سلام الذي قال فيه بأن أهل المدينة لا يعرفون جبلا بها اسمه "ثور" وأن ثور جبل بمكة، حيث رد ذلك ابن النجار بقوله: "قلت: بل يعرف أهل المدينة جبل ثور، وهو جبل صغير وراء أحد، ولا

(١) الدرة الثمينة ص١٠١.
(٢) الدرة الثمينة ص٩٩.

ينكرونه"[1].

وعندما تحدث ابن النجار عن المصاحف التي كانت بالمسجد النبوي الشريف ذكر ما نصه: "قلت: وأكثر هذه المصاحف المذكورة ضاعت على طول الزمان وتفرقت أوراقها"[2].

ويلاحظ أن معظم تعليقات ابن النجار أو إضافاته أو تعقيباته التي أظهرت شخصيته في الكتاب جاءت غالبا في إطار المشاهد للحدث، وأنها إنما جاءت لبيان شيء رآه ابن النجار، ولذلك كانت معظم هذه التعليقات وتلك التعقيبات ترد بعد الحديث عن مواقع جغرافية أو مظاهر عمرانية رآها ابن النجار بنفسه وعرض تاريخها ثم بين بكلامه وصفها وحالها كما شاهدها هو بنفسه[3].

٥) موارد ابن النجار الكتابية:

تعددت الموارد والمصادر التي استقى منها الحافظ ابن النجار مادته العلمية في كتابه الدرة الثمينة، فلقد اعتمد كثيرا على كتب الحديث لاسيما الصحيحين[4]، كما

(١) الدرة الثمينة ص٥١-٥٢.

(٢) الدرة الثمينة ص١١٩.

(٣) انظر مثلا وصفه لوادي العقيق في وقته حيث ذكر أنه لا يوجد به ساكن آنذاك، وقال أن به بقايا بنيان خراب. الدرة الثمينة ص٥٦، وراجع مثالا آخر جاء في وصفه لمسجد بني قريظة كما رآه، الدرة الثمينة ص١٢٧.

(٤) راجع مثلا صفحات ٣٥، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٥٥ ..... وغيرها من الصفحات الكثير، حيث كان ابن النجار يشير إلى كتب الصحاح في وضوح فيقول: "وفي صحيح مسلم، وفي صحيح البخاري، وفي الصحيحين...." إلخ.

اعتمد بشكل واضح على كتاب محمد بن الحسن بن زبالة عن أخبار المدينة، ونقل عنه نصوصا كثيرة كما سبقت الإشارة، أضف إلى ذلك أن ابن النجار اعتمد بشكل كبير على ما حفظه وعرفه وقرأه عن تاريخ المدينة في كتب السابقين، وقد أشار بنفسه إلى ما يفيد هذا المعنى عندما رد على أولئك الذين طلبوا منه أن يكتب شيئا عن تاريخ المدينة حيث قال: "فاعتذرت لهم بأن الحفظ قد يزيد وينقص، ولو كانت كتبي حاضرة كنت أجمع كتابا في ذلك شافيا لما في النفس...."[(١)].

وبالإضافة إلى ما سبق، استعان ابن النجار في كتابه بوسيلتين أخريين شكلتا مصدرا مهما من مصادره هما:

أولا: المشاهدة والمعاينة:

وهي من الوسائل المهمة التي اعتمدها ابن النجار في تدوين كتابه لاسيما عن البقاع الجغرافية والمعالم العمرانية في المدينة المنورة، حيث فضل أن يزورها بنفسه ويكتب وصفها من خلال ما تراه عينه ويثبته قلمه[(٢)]، وتعتبر هذه الوسيلة من أوثق الوسائل المستخدمة في تدوين المادة التاريخية والحضارية بشكل عام.

وقد استخدم ابن النجار هذه الوسيلة كثيرا في وصفه

---

(١) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٢٣.

(٢) انظر مقدمة الناشر لكتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٢٠، وراجع مثلا ص ٤٢، ص١٢٠، ص١٥٠؛ ص١٥٣، ص١٥٨ من الكتاب نفسه حيث يذكر ابن النجار كلمات تشير إلى زمانه هو، وتبين مشاركته في الحدث.

للمعالم الجغرافية والمعمارية في المدينة لاسيما عند الحديث عن جبل أحد وفضله[١]، وآبار المدينة وفضلها[٢]، والخندق الذي حفره النبي ﷺ مع أصحابه في غزوة الأحزاب، حيث ذكر ابن النجار بقاء الخندق حتى وقته[٣]، وعين النبيﷺ التي ظهرت في العَينيِّة أيام الخندق[٤]، ووصفه لمسجد النبي ﷺ ومتعلقاته وفضله[٥]، والمساجد الأخرى بالمدينة وفضلها[٦].

وقد روى ابن النجار حدثا وقع في عصره قام به الخليفة العباسي الناصر لدين الله (ت/٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، حيث قال إن الناصر أرسل ستارة من الإبر يسم الأسود وطرزها لتعلق على الحجرة النبوية الشريفة، وإن أم الخليفة لما حجت أرادت أن تنال هذا الشرف أيضا فأرسلت ستارة أخرى بنفس مواصفات الستارة السابقة علقت إلى جوارها، وقد رأى ابن النجار بنفسه هذه الستائر وذكر أن مجموعها على الحجرة النبوية الشريفة ثلاث ستائر، حيث كانت توجد عليها ستارة أخرى من قبل[٧].

---

(١) الدرة الثمينة ص٦٦.

(٢) انظر وصفه لبعض تلك الآبار كما شاهدها. الدرة الثمينة ص٥٧، ص٥٩، ٦١، ص٦٢، ص٦٣، ص٦٤.

(٣) الدرة الثمينة ص٨١.

(٤) يذكر ابن النجار أن هذه العين كانت لا تزال ظاهرة بالمدينة في وقته، وأن عليها بناء. الدرة الثمينة ص٦٤.

(٥) راجع مثلا وصفه لمنبر رسول الله ﷺ كما شاهده. الدرة الثمينة ص٩٨.

(٦) اكتفى ابن النجار في هذا الموضع بالحديث عن المساجد الموجودة بالمدينة التي كانت لا تزال قائمة حتى عصره، وأشار إلى أن هناك مساجد أخرى صلى فيها النبي ﷺ ووردت أسماؤها في كتب السير ولكنها اندثرت، كما أشار إلى أن هناك بعض المساجد بالمدينة ولكنها خراب في وقته. راجع وصف ابن النجار لمساجد (قباء – الفتح–القبلتين–الفضيح–بني قريظة) الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص١٢٣–١٢٨.

(٧) الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص١٥٠.

وعلى هذا النحو كان ابن النجار حريصا دائما على جعل وصفه لمنشآت المدينة ومآثرها وصفا حيا، فاستخدم وسيلة المشاهدة والمعاينة كثيرا في وصفه للمواقع والمساجد وغيرها من مظاهر العمران في المدينة، ولا شك أن هذه الأمور قد أكسبت كتابه أهمية خاصة بين الكتب التي تناولت تاريخ المدينة المنورة حتى عصره.

ثانيا: الرواية الشفهية:

ويقصد بها حمل الحديث وإسناده إلى من عُزِيَ إليه، و هي نادرة في كتاب ابن النجار عن أخبار المدينة، وتكاد تكون غير ملحوظة إلا في القليل، ويرجع ذلك إلى أن ابن النجار لم يكن في حاجة ماسة إلى استخدام الرواية الشفهية في تدوين كتابه لوفرة ما كتب عن تاريخ المدينة حتى عصره من ناحية، وتمكنه منذ نشأته في علم الحديث والرواية والتاريخ من ناحية أخرى.

وجدير بالذكر أن ابن النجار كان يستخبر أحيانا من أهل المدينة عن بعض الأماكن والأحداث التي لم يكن له علم بها ولم تسعفه مصادره في الحديث عنها، وكان أهل المدينة يمدونه بما يحتاج قدر استطاعتهم[1]، ولذلك فإنه روى بعض أخبار كتابه معتمدا على الرواية الشفهية ومحملا العهدة على الراوي.

فعندما أراد ابن النجار أن يتحدث عن آبار المدينة

(١) الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص٢٠.

وفضلها أشار إلى أن أهل السير ذكروا أسماء آبار بالمدينة شرب منها النبي ﷺ وبصق فيها، ولكن معظم تلك الآبار كان قد اختفى في عصر ابن النجار، ولمّا لم يستطع أن يجمع عنها شيئا؛ اكتفى بذكر ما هو موجود منها في وقته مشيرا أنه اعتمد في تسجيل ذلك على ما رواه له أهل المدينة محملا العهدة عليهم بقوله "والعهدة عليهم في ذلك"(١).

كذلك يبدو واضحا استخدامه وسيلة الرواية الشفهية عند حديثه عن سماع صوت هرة في الحجرة الشريفة، وكان ذلك في عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م وفق ما رواه ابن النجار الذي ذكر لنا أن مصدره في ذلك: "ما سمعه من أفواه جماعة"(٢).

وكان ابن النجار غالبا ما يشير إلى استخدامه الرواية الشفهية في كتابه بقوله "قالوا"، و"سمعت"، واتضح هذا الأمر بصورة جلية في الباب الأول من الكتاب الذي تحدث فيه ابن النجار عن أسماء المدينة وذكر أول من سكنها، حيث وردت كلمة (قالوا) في هذا الباب وحده حوالي تسع مرات مشيرة (دون سند) إلى أخبار وأحداث سابقة مرت بها المدينة قبل الإسلام، ولعل ابن النجار قصد بأولئك الذي "قالوا" أهلَ المدينة الذين كان يستخبرهم فيخبرونه، أو أنه قصد بذلك بعض أهل السير الذين قرأ لهم.

---

(١) الدرة الثمينة ص٥٧.

(٢) الدرة الثمينة ص١٥٣.

آخر أبواب كتاب الدرة الثمينة :

جاء الباب الأخير من كتاب الدرة الثمينة تحت عنوان "في ذكر أعيان من سكن المدينة من الصحابة ومن بعدهم"، وقد كان من المتوقع من خلال هذا العنوان أن ابن النجار سوف يترجم لأولئك الصحابة والتابعين الذين تعرض للحديث عنهم في كتابه، ولكن نجده يكتفي فقط بذكر أسمائهم دون التعريف بهم أو بتواريخ وفياتهم والظروف التي أحاطت بذلك.

وفي هذا الباب اكتفى ابن النجار بذكر بعض أسماء كبار الصحابة، وبعض أهل البيت، وبعض التابعين، وبعض أصحاب الأخبار الذين استوطنوا المدينة فأقاموا بها حتى مات بعضهم بينما رحل بعضهم الآخر عنها[1].

ويلاحظ مدى حرص ابن النجار على منهجيته من خلال ذكره لأسماء كبار الصحابة الذين سكنوا المدينة أو ماتوا بها أو هاجروا لرؤية الرسول الكريم ﷺ، حيث التزم ابن النجار ذكر أسمائهم وفق ترتيب حروف الهجاء العربية، وهذا الأمر وإن لم يكن يشكل أهمية في عرض المادة التاريخية وذكر التراجم وأصحاب السير؛ إلا أنه يعكس مدى منهجية ابن النجار وأنه حرص قدر المستطاع على أن يكون عمله عملا علميا منهجيا في كل موضوع من موضوعاته.

(١) راجع الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص١٧١-١٧٣.

خاتمة

اتضح من خلال ما سبق أن الحافظ محب الدين ابن النجار البغدادي – رحمه الله- أراد أن يجمع في كتابه الدرة الثمينة ما تيسر له جمعه عن تاريخ المدينة وفضائلها فترة وجوده بها زائرا، فكتب تاريخا جيدا في تعدد موضوعاته وتنوعها، وإن كان مختصرا في بعض تلك الموضوعات.

واتضح كذلك أن ابن النجار قد تدرج في عرض موضوعات كتابه متبعا تسلسلها التاريخي، وساق إلينا الأخبار والأحاديث والشواهد التي دلت على صدق رواياته وحديثه عن أخبار المدينة وفضائلها مستخدما في ذلك عدة وسائل كان من أبرزها ما شاهده وعاينه بنفسه ووصفه وفق ما رأته عينه وأثبته قلمه، فجاء كتابه عملا منهجيا فريدا جامعا لكثير من أخبار المدينة المنورة، وواصفا وصفا حيا لأهم معالمها وعماراتها حتى عصره.

وكان التأريخ للنواحي العمرانية في المدينة المنورة السمة الغالبة على كتاب ابن النجار، في حين أنه اختصر بشكل واضح في عرض جوانب التأريخ للأحداث والوقائع، وترك الحديث عن جوانب التاريخ الثقافي وتراجم العلماء والمحدثين بالمدينة، وربما كان من الأسباب التي دفعته إلى ذلك عدم توافر كتبه وأصوله وقت تأليفه الكتاب كما ذكر هو في مقدمته، ولو أن مصادره كانت متوفرة بين يديه آنذاك؛ فلا شك أنه كان سيكتب أفضل مما كتب كما فعل في ذيل تاريخ بغداد الذي ذيَّل به على كتاب ابن الخطيب، حيث يقول

الإمام الذهبي عن ذلك الذيل: "هو في مائتي جزء ينبئ بحفظه ومعرفته"[1].

وإن كان هناك ما يؤخذ على ابن النجار في كتابه الدرة الثمينة فهو ما نقله من أحاديث عن محمد بن الحسن بن زبالة في كتابه "أخبار المدينة" دون نقد أو تمحيص أو تدقيق في رجال السند ومدى صدق حديثهم والوثوق بهم وبرواياتهم.

لقد كان ابن النجار متفردا في منهجه في هذا الكتاب، وضع نصب عينيه ما أراد أن يوصله للقارئ، وكان فطنا للمنهج الذي اختطه لنفسه فلم يستطرد كثيرا، وساق الأدلة والشواهد التي تخدم موضوع كتابه، ولم يغفل أن يبدي رأيه في كثير مما كتب، بل نراه قد ربط ماضي المدينة المنورة بحاضره الذي عاش فيه، فبدأ حديثه معرفا بالمدينة وأسمائها وأول من سكنها، وانتهى بذكر من عاش بها أو مات على أرضها من أهل البيت والصحابة والتابعين وكثير من أهل العلم، وكان ابن النجار قد اختط لنفسه تقسيما واضحا ومنهجا محددا سار عليه في كتابه ولم يخالفه واتضح ذلك من خلال ما بدأ به وما انتهي إليه.

ولما كان كتاب الدرة الثمينة لابن النجار بهذه القيمة التاريخية والحضارية الكبيرة، فقد جاء بعده المؤرخ محمد بن أحمد بن خلف المطري (ت/٧٤١هـ/١٣٤٠م) وذيل عليه في

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢٣ص١٣٢، وقال ابن الدمياطي أيضا عن ذلك الذيل: "ومن نظر في هذا التاريخ علم محله وإتقانه وكثرة إطلاعه ورحلته، رحمه الله". المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، مجـ١٨ص٣.

الكتاب الذي ألفه عن تاريخ المدينة المنورة بعنوان "التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة"، ثم جاء المؤرخ أبو بكر بن الحسين بن عمر المراغي (ت/٨١٦هـ/١٤١٣م) وذيل على الكتابين معا في كتابه المعنون باسم "تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة".

رحم الله هؤلاء العلماء الكبار وغفر لنا ولهم، ونفعنا الله بعلمهم، وأكثر من أمثالهم في أمتنا الإسلامية.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١- ابن الأثير: (أبو الحسن على بن محمد الملقب بعز الدين ت/٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تصحيح ونشر د. محمد يوسف الدقاق، در الكتب العلمية ببيروت الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢- الحنبلي أبو: (الفلاح عبد الحي بن العماد ت/١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق الطبعة الأولى ١٤١٢-١٤١٣هـ/ ١٩٩١-١٩٩٢م.

٣- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ت/٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس نشر دار صادر -بيروت (بدون تاريخ نشر)

٤- ابن الدمياطي (أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسيني ت/٧٤٩هـ/١٣٤٨م): المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ محب الدين ابن النجار البغدادي، تحقيق الدكتور قيصر أبو فرح، دار الكتاب العربي -بيروت عام ١٩٧١م.

٥- الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت/٧٤٨هـ/١٣٤٨م): سير أعلام النبلاء، تحقيق د. بشار

عواد معروف، ود. محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،.

٦- الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، نشر مطبعة حكومة الكويت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤.

٧- الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، (ج٤٤ حوادث ووفيات ٦١١-٦٢٠هـ) نشر دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

٨- الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

٩- السبكي: (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت/٧٧١هـ/١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٠- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك (ت/ ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، ج٥ باعتناء س. ديد رينغ، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١١- الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢١ باعتناء محمد الحجيري، شتوتجارت، الطبعة الثانية ١٤١١-١٩٩١م

١٢- ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق بن

محمد الشيباني (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق ونشر مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

١٣- ابن قاضي شهبة (أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ت/٨٥١هـ/١٤٤٨م): طبقات الشافعية، تعليق ونشر د. الحافظ عبد العليم خان، مطابع حيدر أباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٤- الكتبي: (محمد بن شاكر ت/٧٦٤هـ/١٣٦٣م): فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت (دون تاريخ نشر)

١٥- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ الدمشقي ت/٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق د. عبد الله بن المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، مصر الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٦- ابن النجار: (الحافظ محب الدين ابن النجار البغدادي ت/٦٤٣هـ/١٢٤٥م): الدرة الثمينة في أخبار المدينة، نشر وتعليق الأستاذ حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت (بدون تاريخ نشر).

١٧- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي ت/٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق د. إحسان عباس، نشر

دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٣م

١٨- ياقوت الحموي: معجم البلدان، نشر دار صادر ببيروت (٥ مجلدات) ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ثانيا: المراجع:

١٩- أرنولد: (توماس): الدعوة إلى الإسلام، ترجمة، د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، د. إسماعيل النحراوي، نشر دار النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٢٠- بدوي: عبد المجيد أبو الفتوح "دكتور": التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي-دار الوفاء بالمنصورة ، مصر، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

٢١- بروي (إدوارد): تاريخ الحضارات العام (ج٣ القرون الوسطى)، بإشراف موريس كروزيه، منشورات عويدات، بيروت- الطبعة الثانية ١٩٨٦م.

٢٢- الزركلي: (خير الدين): الأعلام (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين -بيروت، الطبعة السابعة ١٩٨٦م.

٢٣- سلامة: (صلاح عبد العزيز): أول كتاب في تاريخ المدينة المنورة (كتاب أخبار المدينة لابن زبالة)، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة (العدد ٢ جمادى الآخرة- شعبان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) الصفحات (٦٩-٩٤).

٢٤- شبولر: (برتولد): العالم الإسلامي في العصر المغولي، تعريب خالد أسعد عيسى، مراجعة د. سهيل زكّار، دار إحسان، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٥- شكر: (صلاح الدين "دكتور"): ابن النجار وكتابه الدرة الثمينة في أخبار المدينة (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة – العدد ١١ شوال – ذو الحجة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) الصفحات (٤٥-٧٢).

٢٦- الصياد: (فؤاد عبد المعطي "دكتور"): الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، منشورات جامعة قطر ١٩٨٧م.

٢٧- الطاهر: عبد الباري محمد (دكتور): أبان بن عثمان الأمير العالم-مجلة دراسات تاريخية – جامعة دمشق السنة ٢٢، العددان (٧٥-٧٦) أبريل ٢٠٠١م.

٢٨- الطاهر: عبد الباري محمد (دكتور): عمر بن شبة ومنهج كتابة التاريخ العمراني من خلال كتابه تاريخ المدينة المنورة، حولية كلية دار العلوم – جامعة الفيوم ٢٠٠٦م.

٢٩- العمري: (أكرم ضياء "دكتور"): دراسات تاريخية (مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات) نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٠- فهمي: (عبد السلام "دكتور"): تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨١م

٣١- محمد: (محمد أحمد "دكتور"): إسلام الإيلخانيين، شركة الصفا للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٨٩م،

٣٢- ماكَامان: (محمد.....): أثر الرحالين في التقدم العلمي والحضاري (مقالة على الشبكة العنكبوتية) (http://www.aljabriabed.net/n87_06makaman.htm)

٣٣- منلا: (مصطفى عمار "دكتور"): شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة – العدد ٨ محرم – ربيع الأول ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) الصفحات (١٨٥-٢٢٢).

٣٤- النوري: السيد أبو المعاطي وآخرين: الجامع في الجرح والتعديل (لأقوال: البخاري، ومسلم، وأبي زرعة الرازي، وأبي داوود، ويعقوب الفسوي، وأبي حاتم الرازي، والترمذي، وأبي زرعة الدمشقي، والنسائي، والبزار، والدراقطني) -عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٥- ولبر (دونالد): إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة د. عبد النعيم حسنين، دار الكتاب المصري بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.